

الرعايا غير العبيد

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

هذه الأمة خلقوا رعاة ، ولم يخلقوا جباة ، وليوشكن أعتكم أن يصيروا جباة ، ولا يكونوا رعاة ، فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء ، والأمانة والوفاء . الا وإن أعدل السيرة أن ننظر في أمور المسلمين ، وفيما عليهم ، فتمطوهم الذي لهم ، وتأخذوهم بما عليهم ، ثم تشنوا بالذمة ، فتمطوهم الذي لهم ، وتأخذوهم بالذي عليهم ، ثم العدو الذي تتباون ، فاستفتحوا عليهم بالوفاء .

فيفرق عثمان في هذا بين الرعاة والجباة ، وهذا الفرق يكاد يحمل الجباة معنى السادة الذين يتماون على الرعية ، وينظرون إليها من الناحية المالية ، فلا يهمهم إلا أن يبتزعوها منها ملهاوم في عزة السادة ، وإلا أن تقدم إليهم هذا المال في ستار وذلة ، وعلى هذا يكون الرعاة الذين يقابلون الجباة لا يعملون شيئا من معنى السادة ، ولا تكون الرعية لهم عبيدا ، بل يجمعهم جميعا اسم المواطن

فإذا انتقلنا من هذا إلى معنى كلمة رعية في اللغة وجدنا القاموس يقول : الراعي كل من ولي أمر قوم ، والجمع رعاة ورعيان ورعاء وقد يكسر ، والقوم رعية ككفنية . ثم يقول : وراعيته لاحظته محسنا إليه ، وراعيت الأمر نظرت إلى م يصير ، وراعي أمره حفظه كرها ، واسترعاها إيام استحفظه

وإذا انتقلنا من التماموس إلى النهاية في غريب الحديث والآثر وجدناها تقول : وفي الحديث « نساء قريش خير نساء ، أحناء على طفل في صدره ، وأرعاه على زوج في ذات بده » هو من المراعاة الحفظ والرفق وتخفيف الكلف والأنقال عنه ، ومنه الحديث « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » أي حافظ مؤتمن ، والرعية كل من شمله حفظ الراعي ونظره ، وفي الحديث « إلا إرعاه عليه » أي إبقاء ورققا ؟ يقال أرعيت عليه ، والمراعاة الملاحظة ، وفي حديث عمر « لا يعطى من الفئام شيء حتى تقسم إلا لراع أو دليل » الراعي ههنا عين القوم على العدو ، من الرأية والحفظ ، ومنه حديث لقمان بن عاد « إن أراعي القوم فقل » يريد إذا تحافظ القوم لشيء يخافونه فقل ولم يرهم

وإذا انتقلنا بمد هنا إلى الصباح اللير في غريب الشرح الكبير وجدناه يقول : وقيل للحاكم والأمير راع لقيامه بتدبير

كنت أحب للأستاذ الفاضل الشيخ خالد محمد خالد وهو عالم أزهري أن يتأمل قليلا في اسم كتابه الجديد - مواطنون لا رعايا - ولو أنه تأمل قليلا في معنى كلمة رعايا لاختار له هذا الاسم - مواطنون لا عبيد - لأن موضوع كتابه في هذا المعنى . ولو أنه سماه أيضا - رعايا لا عبيد - لا خرج عن معنى كتابه ، ولا خرج عما يتبني اسلم من علماء الدين ، والأستاذ من أساتذة اللغة ، لأنه أساء إلى كلمة رعايا ، وهما ما لا نحمله في اللغة والدين

روى مسلم والترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال . كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ؛ الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في مال أبيه ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته

وفي هذا الحديث دلالة صريحة على أن الراعي ليس معناه السيد ، حتى تكون الرعية بمعنى العبيد ، لأنه جمل كل واحد من الناس واعييا ، فلو كان الراعي بمعنى السيد والرعية بمعنى العبيد لكان كل واحد من الناس سيديا وعبيدا في وقت واحد ، وهذا تناقض . على أن الحديث جمل الخادم راعييا في مال سيده ، وفي هذا دلالة قاطعة على أن الراعي ليس بمعنى السيد ، وإلا انقلب الوضع في هذه الحالة ، لأن الخادم مسود لا سيد

وهذا عثمان بن عفان يكتب إلى عماله في أول خلافته ، فيطلب إليهم أن يكونوا رعاة لا جباة ، فيعطى هذه الكلمة معناها الكريم ، ويقول في ذلك : أما بعد ؛ فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة ، ولم يحتم إليهم أن يكونوا جباة ، وإن صدر

لا تتورع حكومات المال في أوروبا الحديثة عن هذه السياسة وقد كان على الأستاذ الشيخ خالد محمد خالد أن يعرف هذا كله ، وأن يدرك أن الناس حينما يطمعون على اسم كتابه - مواطنون لا رعايا - ينتقل نظرم إلى حديث « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ويفهمون أن الحديث يقر الرعية بالمعنى الذى ينكره اسم كتابه ، وفي هذا ما فيه . وعلى الأظهر أن يتدبر في أمر أهله بالإصلاح الذى دعونا إليه ، وتوالى علينا الظلم بسببه ، حتى يستقيم نفسكبيرهم ، ولا تتقلب عليهم مطالباتهم الخاصة ، وقد أعذر من أنذر

عبد المتعال الصعبرى

الناس وسياستهم ، والناس رعية ، وراعيت الأمر نظرت في عاقبته ، وراعيت له لحظته

وفي كل هذه النقول من كتب اللغة لا نجد في كلمة راع ورعاة معنى السيادة والتسلط والتحكيم ، ولا في كلمة رعية معنى الخدمة والعبودية ، وإعنا وظيفة الراعى حفظ الرعية وملاحظتها بالرفق واللطاف ، والإبقاء عليها بصيانتها عن موارد الهلكة ، وتديبرها وسياستها بالعدل ، وهو في هذا أقرب إلى أن يكون خادما للرعية ، والرعية فيه أقرب إلى أن تكون هي المخدومة

وكذلك الأمر في الرعية من جهة الدين ، لا شئ فيها من معنى العبودية ، ولا شئ في الرعاة من معنى السيادة ، وإعنا الخليفة وولائه أصحاب وظائف في الرعية ، يخدمونها بأجر تفرضه لهم على قدر حاجتهم ، وهى التى تختارهم لخدمتها بمحض إرادتها ، وهى التى تنزلهم إذا أساءوا في خدمتها ، فهى صاحبة السلطة عليهم فى الحقيقة ، وهى الراعية عليهم فى نفس الأمر ، وهم خدامها فى الواقع ، وما الخليفة وولائه إلا وكلاء عنها فى تديبر أمورها العامة ، لأن كل فرد منها تشغله أمور الخاصة فى دنياه ، فلا بد لها من أفراد منها يتوبون عنها فى تديبر أمورها العامة ، ولا يمتازون فى هذا بشئ عليها ، وإعناهم رعية مثلها ، يقومون بأعمالهم كما يقوم كل فرد من الرعية بعمله ، ولا يستحقون ما يأخذونه من المال لذاتهم أو لشرفهم ، وإعنا يستحقونه بما يقومون به من عمل ، ولهذا أعطاهم الإسلام اسم المال ، فقال تعالى فى الآية - ٦٠ - من سورة التوبة (إعنا الصدقات للفقراء والمساكين والماملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والتارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) فالماملون عليها هم الولاة ، وهم المال ، ولا مانع من أن يدخل فيهم الخليفة ، لأنه رئيس هؤلاء المال ، ولم تكن حكومة الخلفاء الراشدين إلا حكومة عمال ، وهذا قبل أن تعرف أوروبا الحديثة هذا النظام فى الحكم ، وقد كانت حكومة عمال صالحة ، ولم تكن حكومة عمال لا تتورع عن السياسة الآتمة ، كما

ظهرت الطبعة الثانية للرحلات الأولى

رسالة

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب هزم بك

سفير مصر فى الباكستان

تمن هذا المجلد ثلاثون قرشا عدا أجرة البريد

وهو يطلب من مجلة الرسالة ومن المكتبات الشهيرة